

السابقة، الشرك با (ألا تشركوا به شيئاً)) وقتل الأولاد ((ولا تقتلوا أولادكم)) وقتل النفس التي حرم الله ((ولا تقتلوا النفس التي حرم الله)) فإنها وإن كان الفعل المنهي عنه فيها أشد قبحا وأعظم جرماً عند الله، من أكل مال اليتيم، وفعل الفواحش، إلا أنها ليست ذات دوافع نفسية يميل إليها الإنسان بشهوته، وإنما هي في نظر العقل على المقابل من ذلك، يجد الإنسان في نفسه مرارة من ارتكابها، ولا يقدم عليها إلا وهو كاره لها، أو في حكم الكاره، ولعل منشأ ذلك أن دلائل التوحيد بالنسبة للشرك مثلاً، مطبوعة في النفوس البشرية ليس من السهل أن تتحلل منها، ولا من مقتضاها، فتكفر بها وتشرك بالله، وانظر إلى التعبير في قوله تعالى بالنسبة للشرك: ((ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق)) وكذلك قتل النفس مع وجود دواعيه، لا يقدم عليه الإنسان إلا بمحاولة نفسية عنيفة، يتردد ويقدم ويتأخر، ويقع من تردده وإقدامه في حيرة واضطراب، أيفعل ويشفى نفسه، أم يعدل ويستريح؟ يعق في نزاع بينه وبين نفسه، وفي ظلمة هذا النزاع النفسي يقدم على الجريمة فيرتكبها، ثم لا يلبث أن يعود إليه شيء من الرشد، وحكم العقل، فيندم ويشتد ندمه، وانظر في ذلك تصوير القرآن وتعبيره عن هذه المحاولة النفسية التي تملك على الإنسان قلبه وشهوته، بالنسبة لأول جريمة قتل وقعت بين أولاد آدم: ((واتل عليهم نبأ إبن آدَمَ بالحَقِّ، إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانَا، فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا، وَلَمْ يَتَّخِذْ مِنَ الْآخَرِ، قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ، قَالَ إِنَّمَا يَتَّخِذُ مِنَ الْمُتَّقِينَ: لَنْ يَسُطَ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ، إِنِّي وَذَلِكَ جِزَاءُ الظَّالِمِينَ)) هذا تعبير المقتول عن جريمة القتل، وقد رأى عزيمة أخيه ((فطوَعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ)) ثم انظر إلى التعبير عن مآله وحسرتة وما ارتطم فيه من الندم: ((فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ، فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحِثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَ أَخِيهِ، قَالَ: يَا وَيْلَتَا، أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَ أَخِي، فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ)).